في تكوين كثير من القواعد والفروض الاقتصادية ـ خاصة تلك المتعلقة بالاقتصاد الحركي (الديناميكي) الذي يقوم تحليله كله على أساس أخذ عنصر الزمن في الاعتبار. وسوف تتضح مدى أهمية ذلك الجزء من خلال ما سوف يتم عرضه من الأجزاء التالي عرضها تباعاً استكمالاً لتوضيح الصورة المستهدفة من تلك الدراسة وهي كيفية تعظيم المنفعة الزمنية.

١/٤: الترتيب المتتابع Order يمكن اعتباره من متعلقات الوقت:

يسود الاعتقاد بأن الوقت يتمثل فقط بمدى طول (أو قصر) فترة زمنية (أو لحظية) معينة يمكن تقديرها بوحدات قياسية مختلفة أصغرها الفيمتو ثانية (في المنظور الوضعي للعلم) أو لمح البصر (في المنظور الشرعي) وأكبر عام يتكون بدوه من اثني عشر شهراً. إلا أننا نعتقد أن هناك عنصراً يجدر إدخاله كأحد أجزاء الوقت ومكوناته على أن يتم ذلك على محور زمني مختلف يتقاطع في اتجاه رأسي مع المحور الزمني الأصلي الذي يتضمن الوحدات الزمنية المعتاد على استخدامها وذلك كما يتضح من الشكل رقم (١).

الشكل (١)

أهم مكونات عنصر الوقت ومتعلقاته -

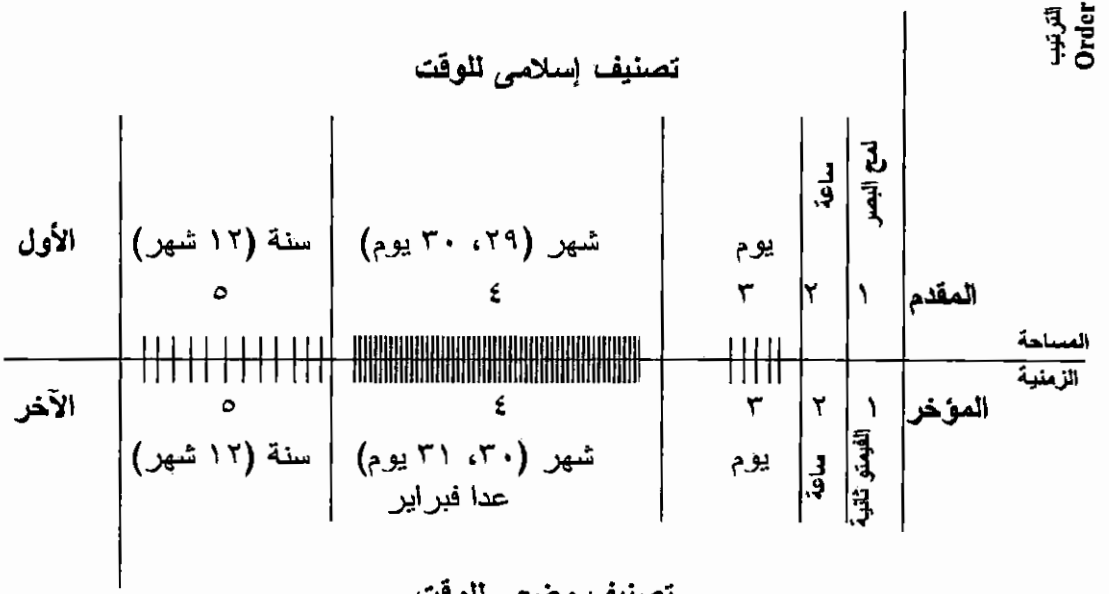

وفى الشكل السابق رقم (١) يوضح على الخط الأفقى التقسيم الزمنى وفقاً للعرض السابق حيث تمثل الخانة رقم (١) أصغر وحدة زمنية وهى طرف العين (أو لمح البصر)، وتمثل الخانة رقم (٢) ساعة. أما الخانة رقم (٣) فتمثل اليوم الذي ينقسم بدوره إلى وقت (الفجر) كبداية لأول اليوم، ثم (النهار) الذى يمتد منذ شروق الشمس حتى لحظة غروبها، ثم (بداية الليل) الذى يتمثل بالمساحة الزمنية الشرعية المتاحة لصلاة فريضة العشاء حاضراً وهي تبدأ بدورها منذ الآذان لصلاة العشاء حتى انتهاء النصف الأول من الليل الذى عادة ما يقدر بالساعة الثانية عشرة بالمقاييس العلمية المعتادة. وبعد ذلك توجد فترة (ثلثى الليل الأخيرين) حيث يستحب أداء صلاة القيام خلالها. ولقد تم تصنيفها إلى جزئين منفصلين لأن الثلث الأخير أفضل عند الله للتعبد من الثلث السابق له، ولقد تعمدنا ترك مسافة بدون ترقيم أو تصنيف للدلالة على (نسبية) طول الوقت ليلاً عنه بالنهار خاصة إذا ما تم قضائه في العمل والتعبد حتى إن انخفضت الوحدات الزمنية المكونة له. فما من شك فى أن المعاناة من مرض أو أرق أو أحزان تكون أثقل وأشد وطأة خلال الليل عنها فى فترة النهار، وذلك يجعل الوقت يمر بشكل متباطئ وصعب مقارنة بحدوث ذات الأمور في أثناء النهار. كما أن التعبد أثناء الليل برغم حلاوته وما يتصف به من صفاء وإخلاص أكثر، فإنه عادة ما يكون أشد وطأة وأكثر مشقة لأنه عادة ما يمثل وقت نوم وراحة واسترخاء للغالبية الأعم من البشر.

وفى القسم الرابع من الأجزاء المكونة للوقت نجد مساحة زمنية أكبر تتمثل في الشهر الذي أوضحنا سابقاً أنه بعادة ما يتكون من ثلاثين أو تسع وعشرين يوماً (في الشهور العربية) أو ثلاثين أو واحدا وثلاثين يوماً بخلاف شهر فبراير (فى الشهور الميلادية)، ثم ننتهى بالمكون الأخير لوحدات الزمن والأكثر طولاً وهو العام الكامل الذى أراد الله سبحانه وتعالى له أن يتكون بدوره من اثنتى عشرة شهراً كما سبق التوضيح.

أما على المحور الرأسى، فقد استلهمنا مكوناً آخر يمكن أن يتعلق بالوقت ويتداخل معه فى ذات التأثيرات والتوجهات، وهو الترتيب المتتابع Order وقد تم استلهام ذلك المكون من أسماء الله الحسنى التى يمكن أن نستعين بها في ذلك التصنيف وهى **المقدم والمؤخر**: **والأول والآخر**. وحتى تتضح أهمية ذلك التصنيف الفرعى للوقت يجدر بنا أن نبدأ أولاً بالتعرف على تلك الصفات المقدسة لله عز وجل. (فالمقدّم) يعنى الذي يقدّم بعض الأشياء على بعض في الوجود، وذلك لتقديم الأسباب على مسبباتها.. فيقدّم سبحانه لعباده ما يحتاجون اليه. على الوجه الذي يحقق صلاح أمورهم، كما تقتضيه حكمته الأزلية. ومن أشكال ذلك التقديم: تقديم الزمان على الزمان، والمكان على المكان. والحركة على الحركة، وتقديم من شاء من عباده بالعلم والطاعة والتقوى والإنابة والشرف والاستجابة ﴿**وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**﴾ (الأنعام: جزء من الآية ١٦٥).

أما عن المعنى المستفاد من تلك الصفة المقدسة بالنسبة للمرء، فهو أن **يقدم الأهم فالمهم من شئون دنياه، وألا يؤخر شيئاً من أمور أخراه** (عبد المقصود سالم، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، صـ٩٧، ٩٨). وترتيباً على ذلك، فإنه يجب تصنيف كل وحدة زمنية وفقاً لأوليات أهمية كل لحظة منها فنقول مثلاً أن الساعة الأولى التي تشمل الفجر هي أفضل ساعات الصباح كبداية للصلاة وللذكر ولتلاوة القرآن ﴿**إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً**﴾ (الاسراء: جزء من الآية٧٨). ولكن ذات الساعة في شهر رمضان تكون أكثر تفضيلاً نتيجة لأنه شهر مفضل عند الله من بين شهور العام لأنه ﴿**الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾ (البقرة: جزء من الآية١٨٥). ومع هذا، فقد فضل الله سبحانه وتعالى الوقت الذى يتزامن مع ليلة القدر ومنحه أولوية أولى في الأهمية على كثير من الأزمنة والأوقات الأخرى. وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾ (القدر: ٣-٥).

وعلى الجانب الآخر من التقديم، هناك ترتيب زمني مقابل يمكن استلهامه من صفة الله تعالى (المؤخر). وتلك الصفة المقدسة تعنى **الذى يؤخر إيجاد بعض الأشياء عن بعض بمشيئته**، ويؤخر من شاء من عباده فى الشرف والرتبة، والقرب والحب، والتقوى والطاعة، والعلم والهداية. (المرجع السابق، صـ٩٨). وإن كان الاعتقاد السائد دائما

بأن الآخر يعتبر في وضع أسوأ من سابقه في الترتيب فإن المنظور الشرعي يوضح أن ذلك ليس صحيحاً بالضرورة فأحياناً ما يحدث العكس، وخير مثال على ذلك أن الآخرة خير من الأولى. وبالتالي فإن الترتيب الزمني لأمر ما لا يعنى أن آخر وحدة زمنية تنطوى على أسوأ وضع أو حال وأن أول وحدة تتميز على غيرها. ويبدو ذلك جلياً في عمليات التخطيط والتجارب العلمية والإنجازات. فعادة ما تمثل المراحل الزمنية الأخيرة أفضل فترات زمنية يشهد من خلالها النتائج النهائية لمجهودات تم بذلها تباعاً في فترات سابقة. وتصبح اللحظات الأخيرة هي أفضل لحظات زمنية على الإطلاق خاصة إذا ما كنا نتحدث عن تجارب ناجحة، فدائما ما نقول أنها (انتهت) بالنجاح - ولكن إذا ذكر أن إحدى التجارب (بدأت) بنجاح. فعادة ما يتبادر الى الأذهان القول المأثور (العبرة بالنهاية)؛ وذلك ما يتأكد في الحديث الشريف: «لا تعجبوا بعمل عامل، حتى تنظروا بم يختم له» (صحيح الجامع الصغير وزيادته، جـ٢، ٧٣٦٦).

والصفة الإلهية الثالثة التى يمكن أن ترشدنا إلى بعض المدلولات الزمنية هى (الأول) وهى تعنى **الأول بلا ابتداء**، والموجود بذاته قبل وجود مخلوقاته. وكان (أولا) لأنه كان موجوداً ولا شئ معه (المرجع السابق، ص٩٩). ويقال أيضا في توضيح تلك الصفة الإلهية المقدسة. أن تلك الأولوية لا تتعلق بالزمان ولا بالمكان ولا بأي شئ في حدود العقل أو محاط بالعلم التقليدى المعروف (حسن الجميل.

١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص١٨٧). ومع هذا، فإننا يمكن أن نستلهم من تلك الصفة الإلهية المقدسة مقياساً ترتيبياً للزمن يمكن استخدامه بلغة البشر العلمية الدارجة وهى أن لكل مساحة زمنية معينة توجد نقطة بداية مطلقة لا تسبقها فى ذلك الموضع الأول نقطة زمنية أو وحدة زمنية أخرى فمثلاً إذا ذكرنا الساعة تتكون من ٦٠ دقيقة، فهناك الدقيقة الأولى التي لا تسبقها أى دقيقة أخرى، فإن سبقتها دقيقة، فتكون فى الواقع ممثلة للدقيقة الأخيرة من الساعة السابقة على الساعة محل الذكر.

وعلى المقابل، فهناك صفة (الآخر) وهى **تعنى الباقى وحده بلا انتهاء**، وهو سبحانه يُفنى خَلْقَه ويبقى بعد فنائهم ثم يبعثهم بعد ذلك «ليجزى الذين أساءوا بما عملوا، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى» (عبد المقصود سالم، مرجع سبق ذكره، ص٩٩). وعلى النحو السابق، فيمكن استلهام درس مستفاد حول التقسيم أو التصنيف الترتيبى للزمن أو للوقت حيث لابد لكل مساحة زمنية من وجود لحظة أو وحدة نهائية تنتهى بها تلك المساحة المعنية مثل الدقيقة الستون من الساعة، والثانية الستون من الدقيقة. فإذا ما ذكرت وحدة زمنية إضافية تلى الوحدة الزمنية الأخيرة، فإنها تعتبر نقطة بداية زمنية لمساحة زمنية جديدة تالية مباشرة للمساحة الزمنية محل الاعتبار.

وما من شك فى أن مثل ذلك التصنيف الترتيبى للزمن يمكن أن تكون له فوائده المتعددة خاصة في مجالات التخطيط والتقييم والمتابعة

والتنفيذ؛ ذلك الذى يمكن أن نتعرف على المزيد التوضيحي له من خلال العرض المتقدم للدراسة الجارية.

وبعد ذلك التوضيح الموجز لمفهوم الوقت وبعض الأبعاد المتعلقة به، ننتقل لاستكمال الصورة المستهدفة له بعرض أهم ما ورد فى الدراسات الإنسانية والاجتماعية عن ذلك المفهوم ولتحديد المنظور الاقتصادى الوضعى له على وجه الخصوص.